## تبقى الفريد

تـــبقى الفريـــدَ بمـــا قـــد خـــصَّكَ القـــدرُ
يـــا مـــن لكـــلِّ صـــلاحٍ أنـــتَ مُنتظَـــرُ
اللهُ عظَّـــــمَ أخلاقًـــــا خُلقـــــتَ لهـــــا
يـــا مـــن إليـــكَ تنـــاهى فخـــرُ مـــن فخـــروا
الكـــونُ مـــن قبـــلِ أن تـــأتي لتُـــصلِحَهُ
فـــؤادُهُ كـــادَ ممّـــن ضـــلَّ ينفطِـــرُ
أجـــلاهُ عـــن خـــالصِ التوحيـــدِ مـــن خلطـــوا
بالـــدِّينِ دنيـــا فـــسادَ الـــشركُ، فانـــدثروا
وهـــلَّ وجهُـــكَ فالآفـــاقُ مـــشرقةٌ
والبِـــشْرُ فـــوقَ جبـــينِ الـــدَّهرِ مُـــستَطرُ
يُـــتْمٌ عليـــكَ تتـــالى كلُّـــهُ عِـــبَرٌ
يـــا فـــوزَ قـــومٍ بمـــا قـــد كُنتَـــهُ اعتـــبروا!
الـــصِّدقُ والجِـــدُّ والإخـــلاصُ كنـــتَ لهـــا
في كـــلِّ نـــادٍ جَـــرَتْ عـــن حُـــسنِها سِـــيَرُ

كـــم جئـــتَ "غـــارَ حـــراءٍ" في ســـكينتِه
والـــشَّوقُ منـــهُ إلى لقيـــاكَ مُـــسْتَعرُ!
بـــهِ تعَبَّـــدتَ ربًّـــا واحـــدًا أحـــدًا
جلالُـــهُ بالـــذي ســـوَّاهُ مُنتـــشِرُ
بـــصيرةٌ منـــكَ عاشـــتْ وحيَ فطرتِهـــا
وفطـــرةُ اللهِ عـــن توحيـــدِه خـــبرُ
وافـــاكَ جبريـــلُ بـــ (اقـــرأ) فارتعـــدْتَ لهـــا
فرحـــتَ منهـــا لهـــولِ الأمـــرِ تـــدَّثِرُ
خديجـــةُ يـــا لَبـــشراها كـــم ابتهجـــتْ
لمّـــا اصـــطُفِيتَ لِمـــا قـــد كـــانَ يُنتَظَـــرُ!
وعـــادَ جبريـــلُ يتلـــو أمـــرَ بارِئـــهِ
اِصـــدَعْ، وبلِّـــغْ، ولا تعبـــأْ بمـــن ســـخِروا
بـــشراكَ، بـــشرى أبي بكـــرٍ هدايَتُـــهُ
فإنَّـــهُ أوَّلٌ مـــا عُـــدَّتِ البَـــشَرُ
جاهـــدتَ تـــدعو إلى التوحيـــدِ مـــنْ بطِـــروا
ويـــا لَعفـــوِكَ عـــنهم كلَّمـــا بطِـــروا!

لبَّـــاكَ قـــومٌ ضِـــعافٌ بالهُـــدى كـــبُروا
ومـــن تحـــدّوْا هـــداهُمْ ذِلَّـــةً صَـــغُروا
هـــل مثـــلُ جهـــرِ بـــلالٍ هاتفًـــا: "أحَـــدٌ"
ومثلَـــهُ كـــم تـــرى في الـــضُّرِّ مـــن شـــكروا!
وبـــارَكَ اللهُ ســـؤلًا قـــد دعـــوتَ بـــه
فقـــد أتـــاكَ مُقِـــرًّا بالهُـــدى "عُمَـــرُ"
وصـــحبُكَ الـــصّحبُ كـــمْ أَغْلَـــوْا عقيـــدتَهمْ
للهِ للهِ كـــــم أُوذوْا، وكـــــمْ صـــــبروا!
مـــا بـــدّلوا قولـــةً، أو أجّلـــوا عمـــلًا
إذا أمـــــرتَ فـــــإنَّ الفـــــوزَ إن أُمِـــــروا
ومـــا لهـــم منـــكَ إلا صـــدقُ موعـــدةٍ
بجنَّـــةٍ في هواهـــا يَـــرخُصُ العُمُـــرُ!
فاعْجَـــبْ لهـــم كيـــفَ في فردوسِـــها ســـكَنوا
وعـــنْ أطايبهـــا لـــم يلتفِـــتْ نظـــرُ
وكـــم أتتـــكَ مـــن الـــرحمنِ معجـــزةٌ
أَبْـــدَتْ هُـــداكَ، وأعْمَـــتْ مـــن بهـــا كفـــروا!

عـــلى الـــبُراقِ إلى الأقـــصى سَرَيْـــتَ، وكيْ
تـــؤمَّ بالرُّسْـــلِ كـــانَ الرُّسْـــلُ قـــد حـــضروا

وجُـــــزْتَ ســـــبعَ ســـــماواتٍ بمعجـــــزةٍ
هيهـــاتَ تعـــرفُ يومًـــا مثلَهـــا العُـــصُرُ!

شـــاهدتَ مـــا لـــم يُـــشاهدْ بعـــضَهُ بـــصرٌ
ولـــم يَـــزِغْ لـــكَ مـــن آلائهـــا البـــصرُ

وعُـــدْتَ لـــلأرضِ تـــروي مـــا نُـــصدِّقُه
- كمـــا رويـــتَ - وأعـــمى غيرَنـــا البطَـــرُ

*****

وجـــاءَكَ الـــوحيُ أنْ هـــاجِرْ لِمـــنْ صـــدقوا
فـــإنَّهمْ خـــيرُ مـــن آووْا، ومـــن نـــصروا

صـــاحبتَ أصـــدقَ صـــدِّيقٍ ومـــؤتمنٍ
بطيـــبِ صـــحبتِهِ يحلـــو لـــك الـــسَّفرُ

ودَّعـــتَ مكَّـــةَ محزونًـــا لفرقتِهـــا
فـــإنْ تَـــكُ العـــسرَ، إلا أنَّهـــا الظَّفَـــرُ!

فـــإنَّ معتقـــدًا قـــد عـــشتَ تزرعُـــهُ

لـــو لـــمْ تُهـــاجرْ لمـــا أمـــسى لـــهُ ثمـــرُ

*****

يـــا سَـــعْدَ "ثَـــوْرٍ" بـــأحنى الحُـــبِّ ضـــمَّكُما

فالـــصخرُ مـــن فـــرحٍ ذرَّاتُـــهُ سُـــرُرُ!

طلعـــتَ مـــن غـــارِكَ المحـــروسِ وانكفـــؤوا

كـــأنَّهم مـــن أعـــالي شـــاهقٍ دُحِـــروا

*****

كانـــت عنايـــةُ ربِّ العـــرشِ تكلـــؤكمْ

بمعجـــزاتٍ بهـــا رُصَّـــادُها بُهـــروا

أمـــا تراجَـــعَ عمّـــا كـــادَ يُدرِكُـــهُ

"سراقـــةُ" وهـــو لـــولا صُـــدَّ مُقتَـــدِرُ!

مـــا كنـــتَ إلا الرّســـولَ المُجتـــبى أبَـــدًا

يـــا مـــنْ بكفِّـــك طوعًـــا ســـبَّحَ الحجـــرُ

*****

يـــا فـــوزَ طيبـــةَ دارًا للرَّســـولِ غـــدتْ

فمـــن فيـــوضِ ســـناها تُزهِـــرُ العُـــصُرُ

فيهـــا تآخـــتْ قلـــوبُ المـــؤمنينَ عـــلى
حـــبٍّ كإخلاصـــهِ لـــم تعـــرفِ البـــشرُ

أنـــصارُها آثـــروا مـــن هـــاجروا كرمًـــا
فمـــا اشـــتَكوْا عِلّـــةً يومًـــا، ولا افتقـــروا

فمـــا غَـــزَوْا غـــزوةً إلا وكـــانَ بهـــا
عـــزٌّ لـــدينٍ إلى إظهـــارهِ نفـــروا

أنَّـــى إلى الفـــتحِ طـــارَتْ خـــيلُهمْ ظفِـــروا
ويُحـــسِنون لمـــن عـــادى إذا ظَفـــروا

*****

وعـــدتَ للبيـــتِ منـــصورًا تُطهِّـــره
ومهطعـــينَ أتـــاكَ القـــومُ، واعتـــذروا

وســـاءلوكَ بمـــا هـــمْ يؤمنـــونَ بـــه
فأنـــتَ أطهـــرُ مَـــنْ آبـــاؤهُ طَهُـــروا

قلـــتَ اذهبـــوا أينمـــا شـــئتم، ولِنـــتَ لهـــمْ
وبالتـــسامُحِ قـــد داويـــتَ مـــن غـــدروا

*****

يـــا رحمـــةَ الله لـــم يَـــصدُقْ لنـــا خـــبرُ
إلا إذا كـــــانَ عمَّـــــا قلتَـــــهُ الخـــــبرُ
لا خـــيرَ للنـــاسِ إلا مـــا ســـنَنْتَ لنـــا
فهـــو البيـــانُ لمـــا جـــاءتْ بـــه الـــسُّورُ
مـــا جـــدَّدَ النَّـــاسُ مـــن علـــمٍ ومعرفـــةٍ
إلا وقولُـــكَ فيمـــا جـــدَّ منجـــذرُ
فنـــالَ كـــلُّ زمـــانٍ مـــا سيـــصلِحُه
ولـــم تجِـــدْ مثلَـــهُ للـــصالِحِ البـــشرُ
تـــبقى كمـــا كنـــتَ عـــبرَ الـــدَّهرِ رحمتَـــهُ
يـــا مَـــن لكـــلِّ صـــلاحٍ شـــاءَكَ القـــدَرُ

*****

إنّي لأبـــصرُ رغْـــمَ الخُلْـــفِ وحدَتَنـــا
عـــلى هُـــداكَ، وعهـــدًا ســـوفَ ننتـــصِرُ

*****